

لحكم دينكم ولنا دين (الإسلاميون الجدد والديموقراطيون)

The
Democracy

بقلم الشيخ

محمد عبد الحليم
حفظه الله



مؤسسة المساعدة الإعلامية

بسم الله الرحمن الرحيم
مؤسسة المأسدة الإعلامية

- تقدم -

لكم دينكم و لنا دين

(الإسلاميون الجدد و الديمقراطية)

للشيخ : أبي سعد العاملي (حفظه الله)

١٤٣٣ هـ | ٢٠١٢ م



مقدمة

الحمد لله رب العالمين الذي خلقنا ورزقنا وجعلنا من المسلمين ، وأرسل إلينا رسلاً مبشرين ومنذرين ليدكروننا بواجب العبادة والخضوع لله عز وجل شكراً لله على نعمه الظاهرة والباطنة، وهو سبحانه الذي ارتضى لنا دين الإسلام وأكمله وأتمه على خاتم رسله محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه واستن بسنته ولم يتبع غير سبيل المؤمنين، ثم أما بعد

لقد عادت الجاهلية من جديد وأقوى مما كانت عليه، حيث نشاهد معالمها وآثارها وسيطرتها على كل مناحي الحياة، وكل ما حولنا يوحي بأننا ما زلنا في زمن الجاهلية العمياء لولا بعض المعالم الإسلامية المشوهة وبعض التحركات المباركة التي يقوم بها عباد الله المخلصين لنشر الدين الحق وسط مذاهب جاهلية هدامة وأديان انتشرت بين الناس فألفوها أو فرضت عليهم فرضاً.

هذا ما نراه في المجال الاجتماعي حيث انتشر الفساد الخلقي وصار الاختلاط والعري رمزاً وشعاراً للتقدم والتطور وحسن الرأي، وكذلك مقياساً أو رصيماً لتقلد المناصب العليا في هذه المجتمعات الجاهلية، بينما المحافظة على القيم والالتزام بالدين يعتبر رمزاً للتخلف والجمود وسبباً في التهميش والازدراء .

الأصنام محاطة بنا من كل جانب

لقد وليَّ عهد الأصنام الحجرية أو الخشبية المجسدة لروح الجاهلية العمياء، وذلك بمجيء الإسلام العظيم وظهوره على تلك الأديان الواهية، حيث انقلب أصحاب هذه الأصنام أنفسهم على معبوداتهم فهدموها بأيديهم بعدما رأوا قوة الإسلام ورفعته وسمو تعاليمه، فاكسح الإسلام الساحات واستحوذ على العقول ولم يعد هناك مجال لهذه الأصنام أن تجد لها موقع قدم في الحياة اليومية للناس ولا في عقولهم، فانهارت تلقائياً في أغلب بلدان المسلمين، لتظهر بعد ذلك في صور مختلفة معنوية الطابع وفي أغلب الأحيان خفية في الشكل والمضمون.

تلك هي طبيعة الأصنام الجديدة التي أحاطت بنا من كل جانب وملاّت حياة الناس فصارت تُعبد من دون الله بشعور وبلا شعور، لا يهم ما دام أن في الأمر عبودية جديدة واستهتار بالقيم الإنسانية واستغلال للإنسان واستعباده تحت مسميات جديدة، أهمها الباب الاقتصادي أو ما يسمونه بالمصالح الاقتصادية، وغيرها من الأبواب التي دخلوا بها على حياة الناس فأغروهم وجعلوهم يطوفون حول تلك الأصنام ويقدمون لها القرابين من صحتهم وأمنهم ومستقبل أبنائهم وهم فوق ذلك يضحكون ويمرحون، مثلما كان يفعل الناس في الجاهلية وهم يطوفون حول الكعبة عراة وهم يغنون ويرقصون ﴿ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً ﴾^١ 'وهم يحسبون أنهم يقتربون بذلك إلى الله جل وعلا، وسكان الجاهلية المعاصرة يعتقدون أن طاعتهم لحكامهم وخضوعهم لقوانينهم تشفع لهم ما يقترفونه من كبائر وشركيات وكفريات.

لقد عادت هذه الأصنام بقوة وبأشكال خفية توحى للناس أنها رحمة وسعادة لهم بينما هي في الحقيقة تمتص ثرواتهم وخيراتهم بعد أن تخدر عقولهم حتى لا يشعروا بهذا الاستغلال ولا يدركوا هذه العبودية.

وقد طال هذا الانحراف الخطير فئات من الشعب يحسبها الناس هي المؤهلة لإحداث التغييرات المرتقبة ورفع الظلم الواقع على الشعوب ومحاربة الجهل والتبعية للأعداء.

وسائل الطغاة لإفساد وتخدير الشعوب

لاشك أن هذه الأنظمة التي ترونها تحكم البلاد والعباد إنما هي مجموعة من الموظفين المنحرفين أخلاقياً والمعوقين عقلياً، لدى النظام العالمي الجديد المتمثل في الصهيونية العالمية أو تحديداً ما يسمى بالحكومة العالمية الخفية، هذه الأخيرة التي تتحكم في الاقتصاد والسلاح والدواء والغذاء مما يخول لها أن تتحكم بالضرورة في رسم السياسة العالمية في الدول التي تكون تابعة لها ومنها دولنا العربية بدون استثناء ولو بدرجات متفاوتة.

تملي هذه الحكومة الخفية مجموعة من السياسات على هذه الحكومات لتنفيذها عبر مراحل كشرط أساسي لبقائها في الحكم، ولضمان ولاء ورضا هذه الأخيرة.

(١) استراتيجية الإلهاء : هذه الاستراتيجية عنصر أساسي في التحكم بالمجتمعات، وهي تتمثل في تحويل انتباه الرأي العام عن المشاكل الهامة والتغييرات التي تقرّها النخب السياسية والاقتصادية، ويتم ذلك عبر وابل متواصل من الإلهاءات والمعلومات التافهة. استراتيجية الإلهاء ضرورية أيضاً لمنع العامة من الإهتمام بالمعارف الضرورية في ميادين مثل العلوم، الاقتصاد، علم النفس، بيولوجيا الأعصاب وعلم الحواسيب. "حافظ على تشتت اهتمامات العامة، بعيداً عن المشاكل الاجتماعية الحقيقية، واجعل هذه الاهتمامات موجهة نحو مواضيع ليست ذات أهمية حقيقية. اجعل الشعب منشغلاً، منشغلاً، منشغلاً، دون أن يكون له أي وقت للتفكير، وحتى يعود للضيعة مع بقية الحيوانات." ^٢

(٢) ابتكر المشاكل ... ثم قدّم الحلول : هذه الطريقة تسمى أيضاً "المشكل - ردّة الفعل - الحل". في الأول نبتكر مشكلاً أو "موقفاً" متوقعاً لنشير ردّة فعل معيّنة من قبل الشعب، و حتى يطالب هذا الأخير بالإجراءات التي نريده أن يقبل بها. مثلاً: ترك العنف الحضري يتنامى، أو تنظيم تفجيرات دامية، حتى يطالب الشعب بقوانين أمنية على حساب حرّيته، أو: ابتكار أزمة مالية حتى يتمّ تقبّل التراجع على مستوى الحقوق الاجتماعية وتردّي الخدمات العمومية كشر لا بدّ منه.

(٣) استراتيجية التدرّج : لكي يتم قبول إجراء غير مقبول، يكفي أن يتمّ تطبيقه بصفة تدريجية، مثل أطراف اللون الواحد (من الفاتح إلى الغامق)، على فترة تدوم ١٠ سنوات. وقد تم اعتماد هذه الطريقة لفرض الظروف السوسيو- اقتصادية الجديدة بين

^٢ مقتطف من كتاب أسلحة صامتة لحروب هادئة

الثمانينات والتسعينات من القرن السابق: بطالة شاملة، هشاشة، مرونة، تعاقد خارجي ورواتب لا تضمن العيش الكريم، وهي تغييرات كانت ستؤدي إلى ثورة لو تم تطبيقها دفعة واحدة.

(٤) استراتيجية المؤجل : وهي طريقة أخرى يتم اللجوء إليها من أجل إكساب القرارات المكروهة القبول وحتى يتم تقديمها كدواء "مؤلم ولكنه ضروري"، ويكون ذلك بكسب موافقة الشعب في الحاضر على تطبيق شيء ما في المستقبل. قبول تضحية مستقبلية يكون دائماً أسهل من قبول تضحية حينية. أولاً لأن المجهود لن يتم بذله في الحين، وثانياً لأن الشعب له دائماً ميل لأن يأمل بسذاجة أن "كل شيء سيكون أفضل في الغد"، وأنه سيكون بإمكانه تفادي التضحية المطلوبة في المستقبل. وأخيراً، يترك كل هذا الوقت للشعب حتى يتعود على فكرة التغيير ويقبلها باستسلام عندما يحين أوانها.

(٥) مخاطبة الشعب كمجموعة أطفال صغار : تستعمل غالبية الإعلانات الموجهة لعامة الشعب خطاباً وحججاً وشخصيات ونبرة ذات طابع طفولي، وكثيراً ما تقترب من مستوى التخلف الذهني، وكأن المشاهد طفل صغير أو معوق ذهنيًا. كلما حاولنا مغالطة المشاهد، كلما زاد اعتمادنا على تلك النبرة. لماذا؟ "إذا خاطبنا شخصاً كما لو كان طفلاً في سن الثانية عشر، فستكون لدى هذا الشخص إجابة أو ردّة فعل مجردة من الحسّ النقدي بنفس الدرجة التي ستكون عليها ردّة فعل أو إجابة الطفل ذي الإثني عشر عاماً." ٣

(٦) استشارة العاطفة بدل الفكر : استشارة العاطفة هي تقنية كلاسيكية تُستعمل لتعطيل التحليل المنطقي، وبالتالي الحسّ النقدي للأشخاص. كما أنّ استعمال المفردات العاطفية يسمح بالمرور للأوعي حتى يتم زرع أفكار، رغبات، مخاوف، نزعات، أو سلوكيات.

(٧) إبقاء الشعب في حالة جهل وحمافة : العمل بطريقة يكون خلالها الشعب غير قادر على استيعاب التكنولوجيات والطرق المستعملة للتحكم به واستعباده. "يجب أن تكون نوعية التعليم المقدم للطبقات السفلى هي النوعية الأفقر، بطريقة تبقى إثرها الهوة المعرفية التي تعزل الطبقات السفلى عن العليا غير مفهومة من قبل الطبقات السفلى" ٤.

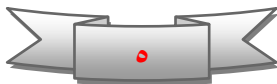
(٨) تشجيع الشعب على استحسان الرذالة : تشجيع الشعب على أن يجد أنه من "الرائع" أن يكون غيباً، همجياً و جاهلاً.

(٩) تعويض التمرد بالإحساس بالذنب : جعل الفرد يظنّ أنه المسئول الوحيد عن تعاسته، وأن سبب مسؤوليته تلك هو نقص في ذكائه وقدراته أو مجهوداته. وهكذا، عوض أن يثور على النظام الإقتصادي، يقوم بامتهان نفسه ويحس بالذنب، وهو ما يولّد دولة اكتئابية يكون أحد آثارها الإنغلاق وتعطيل التحرك. ودون تحرك لا وجود للثورة!

(١٠) معرفة الأفراد أكثر ممّا يعرفون أنفسهم : خلال الخمسين سنة الفارطة، حفرت التطورات العلمية المذهلة هوة لا تزال

٣ المصدر السابق

٤ المصدر السابق



تتسع بين المعارف العامة وتلك التي تحتكرها وتستعملها النخب الحاكمة. فبفضل علوم الأحياء، بيولوجيا الأعصاب وعلم النفس التطبيقي، توصل "النظام" إلى معرفة متقدمة للكائن البشري، على الصعيدين الفيزيائي والتفسي. أصبح هذا "النظام" قادراً على معرفة الفرد المتوسط أكثر مما يعرف نفسه، وهذا يعني أن النظام - في أغلب الحالات - يملك سلطة على الأفراد أكثر من تلك التي يملكونها على أنفسهم .

سدنة الكعبة وسدنة المساجد

لقد كان للكعبة سدنتها الذين يقومون على ضمان مصالحهم المادية بخدمة الحجيج والحفاظ على الأصنام وخدمتها لكي تظل قبلة للجاهليين وأصحاب الأهواء، وحينما علم وأدرك الطغاة في هذا العصر خطورة أماكن العبادة وعلى رأسها المساجد، عمدوا إلى تنصيب سدنة تابعين لهم يخدمون سياساتهم وينشرون دينهم (أي دين الملوك والحكام)، ويحاربون كل الدعاة المخلصين بمنعهم من استعمال هذه المساجد للدعوة إلى الله وإلى دين التوحيد ومنعهم من بيان كل صور الشرك والتنديد.

فأصبحت المساجد دوراً للعبادة (أي للصلاة) فقط، وجردت من كل مهامها الدعوية التي تجعلها قطباً للمسلمين وصلة وصل بين الأمة ودعاتها المخلصين، الذين يبلغون رسالات الله ولا يخشون أحداً إلا الله، صار أغلبهم في عداد المسجونين أو المطاردين أو لقوا ربهم شهداء نحسبهم كذلك ولا نزيهم على ربهم، فبقي في الساحة كل متردية ونطيحة وأدعياء خونة وضعوا أيديهم في أيدي الطغاة يحرفون الكلم عن مواضعه ويقطعون الطريق إلى الله عن عباده المؤمنين وبخاصة شباب الأمة التواق إلى الدعوة الحقيقية وإلى الجهاد بالمال والنفس لنصرة الدين.

مما خلق قطيعة كبيرة وواضحة بين الأمة وبين هؤلاء الدعاة، بل وأخطر من هذا، استبدلت الأنظمة الطاغوتية هؤلاء الدعاة المخلصين بدعاة مزيفين يسبحون بحمد الطغاة وينشرون دينهم ويسعون في الأرض فساداً بسكوتهم عن كفر وظلم وفسق هؤلاء الحكام، ويبحثون لهم عن مبررات شرعية وأوراق توت أو أثواب سابرية يوارون بها سوءاتهم، وأنى لهم وقد أزكمت رائحتها النتنة الأنوف وبان عوارها حتى للأعمى.

فحاولوا نشر علم مبتور بعيداً عن العمل والتطبيق على أرض الواقع، وبعيداً -بعد السماء عن الأرض- عن الفقه الحركي الذي يتفاعل مع قضايا الأمة المختلفة، ويقودها إلى التحرر من كل عبودية غير العبودية لله، ويجعلها رائدة وقائدة لكل الأمم.

فلم يبق سوى هؤلاء الأدعياء يعيشون في الأرض فساداً وينشرون دين الملك وعقيدة الإرجاء والتجهم وفقه الخنوع والانبطاح وبقية المناهج البدعية، لتكون وقاية للطغاة وسياجاً لهم فيستمتروا في تعبيد الناس تحت عباءة الدين تارة وباسم الديمقراطية تارة أخرى، فضاء الدين الصحيح بين هذا وذاك، بين دين مزيف جعلوا فيه القرآن عضيّن، وبين دين الديمقراطية الذي صار إله القوم الجديد ومعبودهم الفريد.

هناك صنف آخر من هؤلاء السدنة، انتكسوا بعدما ابتلاهم الله بمحنة الأسر، هذه المحنة التي من المفروض أن تكون شرفاً لهم واصطفاء رباني وفرصة لرفع مقامهم عند الله وفي دنيا الناس، فلم يستطيعوا أن يصبروا تلك اللحظات الأخيرة من عمر المحنة، فأحبط الله أعمالهم ونسفوا بأيديهم تلك الجبال من الحسنات التي بنوها خلال فترة الابتلاء، حيث ركنوا إلى الذين ظلموا وسارعوا إلى طلب العفو والتراجع عن عقيدتهم التي كانت سبباً في دخولهم إلى هذه السجون.

فبعد أن كانوا رموزاً في الحق صاروا رموزاً لدعم الباطل وتزيين أعمال هؤلاء الطواغيت وصيغتها بالصيغة الشرعية، مقابل أن يحفظوا بولائهم ورضاهم وأن يسمحوا لهم بالعودة إلى حياتهم الطبيعية، والانغماس في ملذات الدنيا وفتنها كالعوام من الناس، والنزول إلى الدونية بعد أن أكرمهم الله بالسمو.

فالحمد لله الذي كتب المحنة على هؤلاء لتظهر حقيقتهم أمام الناس، ولكي تصفو صفوف المؤمنين فلا يبقى فيها إلا المخلصون والصادقون.

فهؤلاء كانوا سينتكسون في كل حال، لأنهم لم تكن هجرتهم إلى الله ورسوله في البدء، بل كانت إلى دنيا يصيبونها أو سمعة يبتغونها أو غير ذلك من شهوات هذه الدنيا الفانية الزائلة.

والحمد لله أن دين الله فوق الجميع ومنزه عن أخطاء وتعاملات الناس - كيفما كان وزنهم ومهما كانت مراتبهم العلمية -، فكل من انتكس فإنما ينتكس على نفسه والدين منه براء، ومن ثبت فإنما يثبت لنفسه ولا ينفع أحداً.

حقيقة الديمقراطية : احتواء وهدم

إن الأمر لا بد أن يكون لله من قبل ومن بعد، أي أن التمكين يكون لشرع الله وحده وليس للديموقراطية أو للقوانين الوضعية كما تنادي بذلك جل هذه الحركات العاملة في الساحة، وتؤديها في ذلك هذه الأنظمة المرتدة التي تغض الطرف عنها وتمد لها يد العون من أجل تشييت مؤسساتها في المجتمع وتزيين صورتها أمام الشعوب على أنها حركات معتدلة ووطنية تسعى إلى الصالح العام وليس إلى التخريب والإفساد كما هو شأن الحركات الإرهابية حسب زعمهم.

أوهام وشبهات داحضة

من أصول ديننا الكفر بالطاغوت ، إلا أن هناك الكثير من الجماعات التي تؤمن بالعمل السياسي وتسعى إلى المشاركة حتى في الحكم في ظل دين الطاغوت ، وهي تبرر ذلك بأن هذه المشاركة إنما هي وسيلة لتبليغ الدعوة وآلية من آليات " خلوا بيني وبين الناس " .

ونحن بدورنا نقول بأن هذه المشاركة السياسية موالاة لمن حاد الله و رسوله، ولا يمكن اعتبارها آلية من آليات (خلوا بيني و بين الناس) كما يزعمون.

لرفع اللبس عن هذه الشبهة ينبغي الوقوف على حقيقة المشاركة السياسية، هل هي آلية كما تعتقد هذه الجماعات أم هي عقيدة في حد ذاتها ؟



الذي ندين الله به أن الممارسة السياسية وفق ما يُسمى بالديموقراطية، دين قائم بذاته، له أصول وشروط لا بد من الالتزام بها واحترامها.

فالذي يمارس السياسة ينبغي أن يعترف أولاً بالدستور والقوانين التي تسيّر هذه السياسة والتي يسعى جميع الفرقاء إلى تجسيدها واقعاً وفعلاً ضمن برنامج سياسي واضح لا يمكن أن يخرج عن قبة القوانين والدستور الذين اتفقوا وأجمعوا وأقسموا على احترامه قبل بدء اللعبة.

وكل من يخرج عن هذه القوانين يُعتبر ناقضاً للعهد الذي التزم به مع خصومه، وبالتالي يصبح عنصراً منبوذاً وغير قانوني.

فمسألة " خلوا بيني وبين الناس " لا يمكن أن نطبقها هنا في المجال السياسي إلا إذا كانت لدينا الحرية المطلقة في عرض ديننا كله والتحرك باسم عقيدتنا التي نؤمن بها ونسعى إلى تطبيقها في الواقع وأعني هنا عقيدة التوحيد.

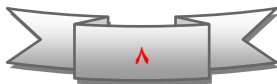
وأول ما سندعو الناس إليه ونحذرهم منه هو الكفر بالطاغوت، وما الطاغوت سوى هذا النظام الحاكم وتلك القوانين الوضعية التي يفرضونها على الناس؟!

ولا يقولون قائل بضرورة التدرج وعدم البدء بهذه الأمور الكبيرة التي ستكون سبباً في منعنا من التعبير وخلق أجواء من التوتر والفوضى ستحرمنا من الحركة.

فهذا الكلام دليل على أن قائله لم يفهم من دين الله شيئاً لأن الأساس الذي ينبغي الدعوة إليه هو التوحيد وليس الشرك، فالكفر بالطاغوت مقدم على التوحيد في العمل، لا بد أن يكون هناك نفي لأي شرك مع الله عز وجل ثم إثبات ألوهية الله تعالى وربوبيته بعد ذلك، وهو المعنى الجامع لكلمة التوحيد (لا إله إلا الله) وفق هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وسنته (محمد رسول الله)، فهل يريدوننا أن ندعو إلى التوحيد بممارسة الشرك؟! .

أما والمسألة غير ذلك فلا معنى ولا قيمة لهذه المقولة ما دامت أنها محصورة في المفهوم الوضعي الذي يفرضه القانون القائم المخالف لشرع الله أصلاً، وبالتالي فلا يمكن أن تصل إلى الناس وتوصل لهم الدين الحق عن طريق هذه الديمقراطية المزعومة، فهي هنا وسيلة للشرك والكفر وليس وسيلة للدعوة إلى التوحيد كما يزعمون.

ومن أصول ديننا أيضاً في هذا الباب، سب آلهة القوم وفضحها وتعريتها ليعلم الناس حقيقة أمرها. بينما الجماعات التي تنادي ب "الإصلاح" عن طريق الديمقراطية، تدعو إلى السكوت عنها ومداهنتها حتى حين، والاكتفاء بالخطاب العام في هذه المرحلة من عمر الدعوة كما يقولون.



كيف نسكت عن إثارة العدو وعدم الدعوة إلى الخروج عليه؟ وهو جوهر الدعوة كلها؟! وهل تقوم دعوة التوحيد في ديننا والعقيدة إلا على نفي وإثبات؟! نفي صفات الألوهية والربوبية عن هؤلاء الطواغيت، وإثباتها لله رب العالمين "لا إله إلا الله"؟! فهل سكت رسول الله صلى الله عليه وسلم والأنبياء من قبله عن سب آلهة أقوامهم، وفضحهم وتحريض الناس على الكفر بهم وبها؟!

فهذه هي الطريقة المثلى لبناء القاعدة الصلبة الصحيحة، وليس بالسكوت عن هذه القوانين وعن هؤلاء الطواغيت، لكي لا تتأذى الدعوة كما يزعمون!!

فالدعوة إلى التوحيد الخالص، وإلى عقيدة الولاء والبراء ونشرها بين الناس، هو من الإعداد النظري الحقيقي، وهو عرض حقيقة الأسس والركائز التي يقوم عليها الباطل، والسعي إلى تدميرها ونسفها من الأساس.

ثم ما هذا الخطاب العام الذي يجب أن نسلكه في شرح الآيات والأحاديث؟! أتريدون أن ندهن، أم تراكم تريدون أن نؤمن ببعض الدين ونكفر ببعض حتى لا ينزعج هؤلاء الطغاة ويغضبوا فيسدوا علينا أبواب الدعوة، ويسلبونا هذه الحريات في الحركة؟! وكأننا أحرار في ظل هذه الأنظمة المرتدة!!

إن الطغاة المرتدون يضعون لنا حدوداً وسدوداً حتى في ميدان الدعوة، فهم يحددون لك خطوطاً ودوائر لا ينبغي تجاوزها أو الخروج منها، وهو دين الملك كما سماه رب العزة. فكيف يمكننا قبول هذه الشروط لنقرّم ديننا ونشوهه فينطبق علينا قول ربنا عز وجل ﴿الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ، فَوَرَّكَ لَنَسَأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾^٥.

حينما تكون لدينا الحرية في مجال الدعوة فتزول العقبات المادية والمعنوية التي تحول بيننا وبين الناس لنوصل لهم عقيدة التوحيد كما أنزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم، يمكننا القول بأننا قد حققنا مكسباً سياسياً معتبراً.

ويمكننا القول بالتالي أننا اقتربنا من بلوغ أهدافنا السياسية وهي تبليغ رسالة الإسلام كاملة غير ناقصة ولا محرفة كما تفرض علينا القوانين الوضعية ذلك.

نعم ، إن المشاركة السياسية وفق المفهوم والشروط التي يفرضها المشرع الوضعي تعتبر موالاة للباطل ولمن حاد الله ورسوله، ولا ينبغي أن نتحرج أو نلوي أعناق النصوص الشرعية لكي تتوافق مع أهوائنا فنكذب على الله وعلى أنفسنا، ونوهمها بأننا نحقق مكاسب للإسلام ونحن على العكس من ذلك.

الأمثلة من الواقع أكثر من أن تُحصى، والتجارب التي خاضها بعض المسلمين في هذا المجال تعتبر أحسن جواب وخير دليل على صحة ما ذهب إليه، حيث لم يحصدوا سوى السراب ولم يحققوا أدنى مكسب لدينهم بل على العكس، ولا داعي لأن نكرر التجارب الفاشلة بنفس الوتيرة.

والبعض الآخر اضطر إلى تغيير اسمه، وإزالة كل ما هو إسلامي - ظاهراً وباطناً - ليلقى القبول لدى الأنظمة الحاكمة، بل إنهم أصبحوا أكثر علمانية من العلمانيين أنفسهم وأكثر ليبرالية من الليبراليين أنفسهم، وأكثر ديموقراطية من الديموقراطيين

أنفسهم، كل هذا ليشاركوا في هذه اللعبة السياسية إلى جانب بقية الأحزاب القائمة - وأغلبها مرتدة -^٦. والبعض الآخر أراد أن يُبقي على جوهر الإسلام ويرفع شعاراته وادعاء الخضوع لتعاليمه فيما يتعلق بالمجالات الأخرى غير السياسية، وفي الوقت ذاته يرضى بحكم الطاغوت فيما يتعلق بالجانب السياسي، وهي معادلة يستحيل على المرء تحقيقها، إذ كيف يمكن للمسلم أن يجمع بين النقيضين في آن واحد، خاصة إذا تعلق الأمر بمسائل الحكم والتشريع. فإما حكم الله وإما حكم الطاغوت، فليس بينهما التقاء ﴿فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ﴾^٧.

وفي نهاية المطاف نرى تورط هذه الجماعات وسقوطها في فخ العدو، الذي يريد أن يصل إلى ضبط الساحة والتحكم في كل الخيوط، حتى تكون جميع الأطراف المتحركة في ساحة العمل السياسي بعامة وفي ساحة العمل الإسلامي بخاصة، تحت مجهره، لكي يضبط كل حركاتها وسكناتها، هذا بالإضافة إلى المكاسب الكبيرة التي تحصل عليها الأنظمة الحاكمة من جراء التنازلات المتواصلة لهذه الجماعات، حتى لقد أصبح الكثير منها جزء من الكيان السياسي، وطرفاً مباشراً في الحكم والتشريع ، - وفق أسس الديمقراطية - حتى وإن كانت في موقع المعارضة الصورية - كما يزعمون - .

فنحن نعلم أن الديمقراطية لا قيمة لها ولا معنى بدون ما يسمى بالمعارضة، فسواء كانت هذه الجماعات طرفاً مباشراً في الحكم أو طرفاً من المعارضة، فهي من الناحية الشرعية آثمة بمشاركتها في الحكم والتشريع. بمجرد جلوسها في هذه المجالس التشريعية حيث الأغلبية تكون دائماً للمرتدين وكلمة الفصل لهم في جميع القرارات والتشريعات، حتى وإن حصل هؤلاء الإسلاميون على أغلبية مريحة - كما يقولون - في هذه المجالس التشريعية، فإنهم سيجدون أنفسهم أمام العقبة الكبرى وهي إرادة الملك أو الرئيس أو المجلس الأعلى أو غيرها من الأصنام والآلهة التي لها كلمة الفصل ولها الأمر من قبل ومن بعد - تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً - ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَفْعَلُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذَا مَثَلْتُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعاً﴾^٨.

إن الديمقراطية وسيلة ناجعة لهذه الأنظمة الحاكمة ولأسيادهم الكفار، لإدخال هذه الجماعات في حظيرة الجمود أو التيه، وتجريدها من كل عناصر المقاومة والقوة، بل توريطها في مسلسل الحكم لتغرق في متاهات لا أول لها ولا آخر، وتتحول إلى مجموعة من الدجالين السياسيين، يقولون فلا يفعلون، ويعدون فلا يُوفون، لا شيء إلا بسبب غياب الوسائل وعدم امتلاك زمام الأمور.

وهكذا تتحول الديمقراطية إلى ورطة حقيقية ومأزق محرج لهذه الجماعات، فينقلب سحرها عليها، وتؤتى من الجهة التي كانت تظن أنها الوسيلة الأنجع والأسلم والأسرع لتحقيق مآربها وأهدافها الشرعية. ويأبى الله إلا أن يبين لهؤلاء أن طريق الحق أرفع وأشرف وأسمى من هذه السفاسف، طريق لا بد فيه من بلاء وعنت وتضحية وفداء، بالغالي والنفيس، بل بأعلى ما يملكه البشر ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْقَوْلُ الْعَظِيمُ﴾^٩.

والأغرب من هذا كله، أننا نجد بعضاً من هذه الجماعات تقاتل في سبيل هذه الديمقراطية وفي سبيل ترسيخها وجعلها الحكم بينها وبين الشعوب، بدلاً من القتال في سبيل الله وإحقاق الحق عن طريق الجهاد.

^٦ انظر على سبيل المثال ما حصل في تونس وتركيا والجزائر والمغرب.

^٧ يونس: ٣٢

^٨ النساء: ١٤٠

^٩ التوبة: ١١١

فمن خلال ما سبق استطاع الطغاة أن يحققوا هدفين وغايتين عظيمتين في نفس الوقت، الأولى احتواء هذه التيارات الإسلامية وجعلها تحت مجهرهم، يحسبون تحركاتهم ويورطونهم في خدمة أهدافهم دون أن يشعروا ، بل إنهم يحسبون أنهم يخدمون الإسلام والمسلمين، وقد طالت هذه الخديعة الكثير ممن كانوا بالأمس القريب يجهرون بفضح الديمقراطية ونعتها بالكفر ووصف كل من يرضى بها ويقبلها بالانحراف عن الدين وربما وصلوا إلى تكفيره، لكننا نجد هؤلاء اليوم في صف الطواغيت ، وبقدرة قادر، أصبحت الديمقراطية وسيلة مقبولة بل شرعية لتطبيق الإسلام في المجتمع.

وقد صارت هذه الديمقراطية مفتاحاً لكل الأبواب وحلاً لكل المعضلات، حتى صار الطواغيت في بلداننا يشترطون على الإخوة في السجون بتحرير طلب العفو من الطواغيت ونبد العنف والكفر بالمنهج الجهادي مقابل السماح لهم بالانتماء السياسي لأي حزب أو جماعة ترضى بالديموقراطية كوسيلة للتعبير وتحقيق المطالب السياسية.

والغاية الثانية: هي هدم لمعالم وقيم وأسس هذا الدين التي تتمثل في الحاكمية والتشريع والولاء والبراء وأحكام الردة والدعوة إلى الكفر وغيرها من الطوام التي جاء الإسلام أصلاً لهدمها والقضاء عليها.

سنرى ماذا ستفعل الحكومة الجديدة التي يترأسها حزب العدالة والتنمية المتأسلم في المغرب الأقصى في حل المشاكل العالقة، وتصفية الملفات الكبرى وعلى رأسها ملف ما يسمى " بالسلفية الجهادية" الذي أصبح وصمة عار في جبين كل المسلمين، وفي كل القضايا والمشاكل التي تعيشها الأمة سواء في الميدان الاجتماعي أو الاقتصادي أو السياسي، وما أكثرها وما أثقلها وما أعقدها من ملفات.

سيضعهم في المحك الحقيقي أمام الشعب المظلوم، وسيعلم هؤلاء أنهم لا حول لهم ولا قوة ، ولا يملكون من لأنفسهم ولا يغيرهم نفعاً ولا ضرراً لأنهم مجرد عبيد أو في أفضل الحالات أجراء لدى الطاغوت ، يأترون بأمره وينتهون عن نهيه، أما الإسلام فسيظل مجرد شعار ولافتة يخدعون بها من لا يزال مغيباً في جهله وغيه.

وسنرى ماذا بوسعها أن تفعل حكومة النهضة في تونس ، وإسلاميو الحرية والعدالة وحزب النور في مصر لقضايا الأمة وعلى رأسهم أسرانا المظلومين، ولنصرة الدين ورفع الظلم عن الشعب وإنصاف كل مظلوم فيهم.

الترغيب والتهديد مقابل ترك التوحيد

في الجهة الأخرى والوجه الآخر لهذه الأنظمة المرتدة هو طرق التعامل مع الموحدين الذين يرفضون الايمان بدينهم والدخول معهم في هذه اللعبة القذرة ، ففي الوقت الذي يمدون أيديهم الناعمة لدعاة الديوقراطية من الإسلاميين ، فهاهم يمدون يدهم الأخرى الحديدية لمواجهة وإسكات أصوات المعارضة الحقيقية وهم هؤلاء الموحدون الذين لا يرضون عن دين التوحيد بديلاً، ويسعون بكل إخلاص وتفاني لنشره بين الناس وبيان الحقائق المخفية والمفاهيم المهجورة من دين الله عز وجل.

هناك وسائل كثيرة سارع الطغاة إلى استعمالها لإسكات صوت الحق لإخراج الناس من دين التوحيد إلى دين الشرك والتنديد، فالشيطان وأتباعه يودون لو أن كل الناس تدخل جهنم وتلقى سخط الله وعذابه مثلهم، لذلك تراهم يحسدون الموحدين على هذه الهداية الربانية ويسعون بكل ما يملكون للصد عن سبيل الله بكل الطرق والوسائل الممكنة.

كما هي سنة الله منذ أن بعث آدم وإلى قيام الساعة ﴿ وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا ﴾ ^{١٠} ، وما نعموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد ﴿ ^{١١} ، فالنقمة والتعذيب والحرب والقتال قائم ما دام المؤمنون ثابتون على دينهم، كافرون بدين الطواغيت، فلن يتوقف هذا العداء حتى نتبع دينهم أو في أخف الحالات نترك ديننا الحق.

فالجنة هي البوصلة التي توجه المؤمن في حركته وسكنته ووسط هذه الفتن المدلهمة من حوله ، وابتغاء الجنة هي الميزان الذي يزن به المؤمن المكاسب فيجدها لا تزن شيئاً أمام هذه الجنة ، فيكون ذلك دافعاً له على الاستقامة ومقاومة كل الاغراءات التي تدعوه إلى الانحراف أو التنازل أو الردة عن دينه.

فكل امرئ حسيب نفسه، والله هو الغني الحميد. قوموا وواصلوا ثباتكم وعملكم لله عز وجل ولا تلتفتوا إلى هؤلاء المتساقطين في طريق الدعوة، فالطريق وعرة وأحمالهم الدنيوية كثيرة، ومن الحكمة والخير أن يتساقطوا حتى لا يؤخروا قافلة التوحيد.

دستورهم فوق قرآنا

" القانون فوق الجميع " عبارة تتردد على لسان كل الحكومات القائمة من أجل التعبير على قدسية الدساتير المعمول بها، وهي مخالفة بل مناقضة لشريعة الإسلام جملة وتفصيلاً، وهي تعني - من جملة ما تعني - أنه لا يحق لأي قانون أو رأي مهما كان ومن أي جهة صدر، لا يحق له أن يعلو على هذه القوانين المعمول بها، وبالتالي فإن الشريعة الإسلامية نفسها لا يمكن أن تعلو عليها، ومن باب أولى أن تجد سبيلاً للتطبيق بدلاً من هذه الدساتير.

وكل ما نراه من ترتيب للعبة السياسية في بلداننا، كقانون تأسيس الأحزاب، وقانون تنظيم الانتخابات، وقانون البرلمان أو مجالس التشريع وقانون تكوين الحكومات، وغيرها من القوانين، كلها بدون استثناء صدرت من أجل تحقيق هذه الغاية السامية بزعمهم وهي " القانون فوق الجميع ".

فصار القانون أو الدستور إله من دون الله تعالى، لا يمكن مناقشته أو محاسبته أو تغييره، وما عدا ذلك فدونكم اللعبة الانتخابية أو الاستفتاءات الشعبية أو ما شابه ذلك من الوسائل التي لا تسمن ولا تغني من جوع ولا تحرك للكفر ساكناً ولا ترزع له ركناً .

لكم دينكم ولنا دين

لما جاء النبي محمد صلى الله عليه وسلم إلى قريش وعرض عليهم الإسلام، وهو يقول بأن إن دينه هو دين إبراهيم - عليه السلام - قالوا: نحن على دين إبراهيم فما حاجتنا إذن إلى ترك ما نحن عليه وأتباع محمد؟! وفي الوقت ذاته راحوا يحاولون

^{١٠} البقرة: ٢١٧

^{١١} البروج: ٨

مع الرسول صلى الله عليه وسلم خطة وسطا بينهم وبينه ؛ وعرضوا عليه أن يسجد لآلهتهم مقابل أن يسجدوا هم لإلهه ! وفي رواية أن يعبد المسلمون آلهتهم عاماً مقابل أن يعبد المشركون الله تعالى عاماً، وأن يسكت النبي عن عيب آلهتهم وعبادتهم، وله فيهم وعليهم ما يشترط !^{١٢}

أقول: لقد نجح مشركو اليوم من عقد صفقة أكثر ربحاً من التي عرضها مشركو قريش على المسلمين، فهاهم من يتسمون بالحركات الإسلامية السياسية قد قبلوا كل شروط الأنظمة المرتدة في بلداننا، وتنازلوا عن كل مبادئ دينهم فيما يخص الحكم ومنه تنفر كل المجالات الأخرى السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعسكرية، فقبلوا بدستور كفري وضعي لا تجد فيه رائحة الإسلام ، والكلمة الفصل فيها للقوانين الوضعية، مقابل ماذا؟ مقابل أن يكونوا أعضاء في الحكومة التي تنفذ بنود هذا الدستور، أو حتى يكونوا هم من يرأس هذه الحكومة ولهم فيها حصة الأسد. إن هؤلاء القوم بحاجة إلى قراءة سورة " الكافرون" وفهمها ليدركوا في أي مستنقع سقطوا، وفي أي هاوية انحدروا :

﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ، لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ، وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ، وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ، وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ، لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾^{١٣}

" نفي بعد نفي ، وحزم بعد حزم ، وتوكيد بعد توكيد ، بكل أساليب النفي والحزم والتوكيد .

(قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ) ... ناداهم بحقيقتهم ، ووصفهم بصفتهم ، إنهم ليسوا على دين ، وليسوا بمؤمنين وإنما هم كافرون، فلا التقاء إذن بينك وبينهم في طريق"^{١٤} .

وليس كما يدعي هؤلاء المحسوسين على الإسلام أولئك المرتدين بأنهم إخوانهم، ويسعون بكل طريقة من أجل الالتقاء بهم والاجتماع معهم وفق دستور كفري ظهر فساد ونقصه وظلمه للقاصي والداني.

إنها إذن دعوة لعبادة آلهة هؤلاء المرتدين الجديدة، وهي صنم الديمقراطية إضافة إلى صنم الوطنية الذي يجتمعون عليه من دون الله عز وجل، حتى صارت هذه الوطنية الوتر الحساس الذي يضرب عليه الجميع، والمعول الذي يهدمون به كل القيم والمبادئ وأصول ديننا الحنيف.

"(لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ) . . فعبادتي غير عبادتكم ، ومعبودي غير معبودكم .

(وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ) فعبادتكم غير عبادتي ، ومعبودكم غير معبودي .

(وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ) . . توكيد للفقرة الأولى في صيغة الجملة الاسمية وهي أدل على ثبات الصفة واستمرارها .

(. وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ) . تكرار لتوكيد الفقرة الثانية . كي لا تبقي مظنة ولا شبهة ، ولا مجال لمظنة أو شبهة بعد هذا التوكيد المكرر بكل وسائل التكرار والتوكيد ! " ^{١٥}

فأقصى ما يمكن أن ينعم به المسلم الموحد في بلداننا المرتدة هو أن يجد مسجداً يقيم فيه الصلوات المفروضة سرعان ما تصفد أبوابها بعد دقائق معدودة من انتهاء الصلاة، ويمنع الناس من الاعتكاف في رمضان وغيره من الشهور، والعلماء والخطباء وطلبة العلم من إلقاء بعض الدروس أو عقد حلقات تعليمية خوفاً من نشر الفكر السلفي الجهادي الذي يسمونه بالفكر الضال أو بالأفكار الإرهابية.

^{١٢} يراجع كتب السيرة لمزيد من التفصيل

^{١٣} سورة الكافرون

^{١٤} في ظلال القرآن: تفسير سورة الكافرون – سيد قطب رحمه الله

^{١٥} نفس المصدر

ويسمحون لك بممارسة الشعائر الأخرى تحت المراقبة مثل الزواج والعقائق والجنائز ، بل غالباً ما تشوبها بدع كثيرة وطوام عظمى تساهم الأنظمة الحاكمة في نشرها والتشجيع عليها في الوقت الذي يمنعون فيه الدعاة المخلصين من استغلال هذه المناسبات لنشر بعض الحقائق أو الصدع ببعض الحق.

لقد نجح الأعداء في استدراج الكثير من الحركات الإسلامية ومن يُحسب على الإسلام إلى ساحة العمل السياسي بغية توريطهم في جرائم التشريع من دون الله وتشويه سمعتهم بحيث يناقضون مبادئهم التي يؤمنون بها وينطلقون على أساسها في الساحة.

" (لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ) . . أنا هنا وأنتم هناك ، ولا معبر ولا جسر ولا طريق !!!
مفاصلة كاملة شاملة ، وتميز واضح دقيق .

إن تصورات الجاهلية تتلبس بتصورات الإيمان، وبخاصة في الجماعات التي عرفت العقيدة من قبل ثم انحرفت عنها . وهذه الجماعات هي أعصى الجماعات على الإيمان في صورته المجردة من الغيب والالتواء والانحراف . أعصى من الجماعات التي لا تعرف العقيدة أصلاً . ذلك أنها تظن بنفسها الهدى في الوقت الذي تتعقد انحرافات وتتلوى ! واختلاط عقائدها وأعمالها وخطط الصالح بالفاسد فيها ، قد يغري الداعية نفسه بالأمل في اجتذابها إذا أقر الجانب الصالح وحاول تعديل الجانب الفاسد . . وهذا الإغراء في منتهى الخطورة !

إن الجاهلية جاهلية ، والإسلام إسلام . والفارق بينهما بعيد . والسبيل هو الخروج عن الجاهلية بجملتها إلى الإسلام بجملته . هو الانسلاخ من الجاهلية بكل ما فيها والهجرة إلى الإسلام بكل ما فيه .
وأول خطوة في الطريق هي تميز الداعية وشعوره بالانعزال التام عن الجاهلية: تصورا ومنهجاً وعملاً . الانعزال الذي لا يسمح بالالتقاء في منتصف الطريق . والانفصال الذي يستحيل معه التعاون إلا إذا انتقل أهل الجاهلية من جاهليتهم بكليتهم إلى الإسلام .

لا ترقيع . ولا أنصاف حلول . ولا التقاء في منتصف الطريق . . مهما تزيت الجاهلية بزي الإسلام ، أو ادعت هذا العنوان !
وتميز هذه الصورة في شعور الداعية هو حجر الأساس . شعوره بأنه شيء آخر غير هؤلاء . لهم دينهم وله دينه، لهم طريقهم وله طريقه . لا يملك أن يسايرهم خطوة واحدة في طريقهم . ووظيفته أن يسيّرهم في طريقه هو، بلا مدهنة ولا نزول عن قليل من دينه أو كثير !

والإفهي البراءة الكاملة ، والمفاصلة التامة ، والحسم الصريح . . (لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ) . .
وما أحوج الداعين إلى الإسلام اليوم إلى هذه البراءة وهذه المفاصلة وهذا الحسم . . ما أحوجهم إلى الشعور بأنهم ينشئون الإسلام من جديد في بيئة جاهلية منحرفة ، وفي أناس سبق لهم أن عرفوا العقيدة ، ثم طال عليهم الأمد (فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون . .) (وأنه ليس هناك أنصاف حلول ، ولا التقاء في منتصف الطريق ، ولا إصلاح عيوب ، ولا ترقيع مناهج . . إنما هي الدعوة إلى الإسلام كالدعوة إليه أول ما كان ، الدعوة بين الجاهلية . والتميز الكامل عن الجاهلية . .) (لكم دينكم ولي دين) . . وهذا هو ديني: التوحيد الخالص الذي يتلقى تصورات وقيمه ، وعقيدته وشريعته . . كلها من الله . . دون شريك . . كلها . . في كل نواحي الحياة والسلوك .

وبغير هذه المفصلة . سيبقى الغش وتبقى المداينة ويبقى اللبس ويبقى التزيع . والدعوة إلى الإسلام لا تقوم على هذه الأسس المدخولة الواهنة الضعيفة . إنها لا تقوم إلا على الحسم والصراحة والشجاعة والوضوح . . .

وهذا هو طريق الدعوة الأول: (لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ) ١٦.

أقول: هذا ما نجهر به في وجوه هؤلاء الكافرين الظالمين الفاسقين الذين جعلوا أنفسهم في مقام الله عز وجل ورضوا بأن يشرعوا ديناً جديداً يخالف أو يوافق دين الله عز وجل.

وهذا أيضاً ما نقوله لكل الأحزاب السياسية (سواء تمسحت بمسوح الدين أو العلمانية أو غيرها من المذاهب) ، لكم دينكم وطريقتكم وسيلكم وقناعاتكم، وهي الكفر بالله ومحاربه ومنافسته في أخص خصائص الألوهية وهي التشريع ، ونحن لنا دين التوحيد، ثبت عليه وتبلى في سبيل نشره بين الناس كما أنزله الله عز وجل على نبيه الخاتم دون زيادة ولا نقصان، ولنا ربنا الناصر المعين، يحمينا وينصرنا عليكم وإن طال طريق المحنة والتدافع بيننا وبينكم، لأننا نؤمن يقيناً جازماً أنه لا طريق غيرها توصل إلى مرضاة الله عز وجل.

دعوة إلى التوحيد من جديد

من أجل هذا وغيره من صور الشرك والكفر والنفاق، وجب على أبناء الإسلام أن يقوموا من سباتهم ويتنبهوا لما يحاك لهم في السر والعلن من قبل الطغاة حتى يخرجوهم من دين التوحيد الذي أمر الله به عباده وبعث من أجله رسله، ووجب على علماء الأمة ودعاتها بصفة خاصة أن ينفروا جماعات وأفراداً لكي ينشروا دين التوحيد، ويدعوا إليه من جديد ويفضحوا كل رموز الشرك وينسفوا تعاليمه بقوة الحق الذي يؤمنون به ويحاولون تطبيقه في حياتهم، وسيجدون في ذلك كل العنت وشدة الابتلاء وكل أنواع المحنة، ولكنه هو طريق الأنبياء والمرسلين، ولو عرفنا طريقاً آخر غيره لسلكناه.

نحن نعتبر أن الديمقراطية دين مناقض ومحارب لدين الله تعالى، وفهمنا أبعاد هذه اللعبة القذرة، فلم ولن نلهث وراء سراياها، وسلكنا الطريق الأصوب في بلوغ الغاية وتحقيق الأهداف الشرعية، طريق الكفر بالطاغوت وبألاعيبه، والإيمان بالله تعالى وبأوامره المنزلة ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ﴾ [الأنفال ٣٩].

فلم تنطل علينا اللعبة، ولن نعطي الفرصة لهؤلاء الطواغيت لمعرفة مكان قوتنا ومواطن ضعفنا، بل عمدنا إلى أسلوب الكر والفر، وإلى الإعداد الحقيقي بعيداً عن أعين هؤلاء الأعداء، ونجحنا في كبح جماح نفوسنا للحصول على فتات السلطة وأوهامها مقابل التنازل ولو عن مثقال ذرة من مبادئنا، ففهمنا قوله تعالى في شأن هؤلاء الأعداء ﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيْدُهُنَّ﴾ [القلم ٩]، بل إننا سارعنا إلى قطع كل الحبال الشيطانية التي ستؤدي بنا يوماً ما أو في لحظة من اللحظات إلى مجرد القعود معهم لمناقشة هذا الأمر فضلاً عن المشاركة فيه والانغماس في فتنه حتى النخاع. ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [الجمعة ٤].

فاصبروا وصابروا وربطوا واثقوا الله، ولا تلتفتوا إلى إغراءات أهل الباطل، ولا تفتنكم انتصاراتهم الزائفة ولا علوهم الموهوم فهو علو سيبته سقوط محتوم.

وسوف يورثكم الله أرضهم وأموالهم وسوف يدخل أنصارهم المخدوعون في دين الله أفواجاً حينما يرون منكم الصدق والثبات والتضحية في سبيل نصره دين الله، فيكفي.

فاربأوا بأنفسكم أن تكونوا من أعوانهم أو أنصارهم أو تسول لكم أنفسكم المشاركة معهم ولو برأي أو مشورة إلا ما يفرضه عليكم دينكم من واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وبيان الحق للناس ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبَيَّسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾^{١٧}.

وركزوا جهودكم في إنقاذ من تستطيعون من الناس والمستضعفين والغافلين من برائن الشرك والكفر والبدعة، وأخرجوهم من هذه الظلمات إلى نور الإسلام والتوحيد، وأعدوا العدة لبناء أسس الخلافة الإسلامية ودولة التوحيد، فإن ببيان القوم سرعان ما سيتهدم على رؤوسهم.

أحسنوا الظن بركم واعلموا أنكم منصورون بإيمانكم وإخلاصكم وثباتكم على دينكم، وان ما ترونه من حولكم من الضجيج مجرد مفرقات صابون وسحابة صيف وسراب.

أقول ما تسمعون وتقرأون وحفظنا الله من شرور خلقه وأبعد عنا فتنهم ووساوس الشيطان وشركه وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وكتبه الفقير إلى عفو ربه: أبو سعد العاملي - صفر الحرام - ١٤٣٣ هجري.

مع تحيات إخوانكم في



مؤسسة المأسدة الإعلامية
(صوت شبكة شموخ الإسلام)

ادعوا لإخوانكم